الفصل الأول

حكمة

تحريم الغلو فى الدين

obeikandl.com

obeikandl.com

الغلو لغة : هو الزيادة عن الحد وشرعاً : هو مجاوزة الحد المطلوب شرعاً من العبد إلى ما هو أبعد منه فلا يكتفى بطلب الشارع ، بل يشعر بأن ما طلبه الشارع قليل ولا يكفى فيغالى ويزيد من عنده على ما أمر به الشارع ، اعتقاداً بأن ذلك محبوبٌ شرعاً . وهذا أيضاً هو تعريف التشدد والتنطع والتطرف .

حكمة تحريم الغلو فى الدين : نستعرضها كما ذكرها العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى باختصار : (*)

إن لتحريم الغلو فى الدين حكمة عظيمة نلخصها فى الآتى :

١ – الغلو منفر لا تحتمله طبيعة البشر العادية ولا **تصبر** عليه ، ولو صبر عليه قليل من الناس لم يصبر عليه جمهورهم ، والشرائع إنما تخاطب الناس كافة ، لا فئة ذات مستوى خاص ، ولهذا غضب النبى صلى اللّه عليه وسلم على صاحبه الجليل معاذ حين صلى بالناس فأطال الصلاة حتى شكاه أحدهم للنبى صلى اللّه عليه وسلم فقال له : « أفتَّان أنت يا معاذ ؟ » وكررها ثلاثاً (١) .

---

(١) (*) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف [٢٩] وما بعدها .

(٢) رواه البخارى [٦٧٣] عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى رضى اللّه تعالى عنهما .

وفى واقعة أخرى قال للإمام فى غضب شديد لم يغضب مثله : « يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم المريض والكبير والضعيف وذا الحاجة » (١)

ولهذا لما بعث النبى صلى اللّه عليه وسلم معاذا وأبا موسى إلى اليمن أوصاهما بقوله : « يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبشِّرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا » . (٢)

وقال عمر رضى اللّه تعالى عنه : « لا تُبَغِّضُوا اللّه إلى عباده فيكون أحدكم إماماً فيطول على القوم الصلاة حتى يُبَغِّضَ إليهم ما هم فيه » .

٢ – **الغلو قصير العمر** ، والاستمرار عليه فى العادة غير متيسر فالإنسان ملول وطاقته محدودة ، فإن صبر يوماً على التشدد والتعسير فسرعان ما تَكِلّ دابته أو تَحْرِن عليه مطيته فى السير ،

---

(١) رواه البخارى [٥٧٥٩] ومسلم [١٨٢/٤٦٦] عن أبى مسعود الأنصارى رضى اللّه تعالى عنه .

(٢) رواه البخارى [٢٨٧٣] ومسلم [٧/١٧٣٣] عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن جده رضى اللّه تعالى عنهم .

وأعنى بهما : جهده البدنى والنفسى ، فيسأم ويدع العمل حتى القليل منه أو يأخذ طريقاً آخر على عكس الطريق الذى كان عليه ، أى : ينتقل من الإفراط إلى التفريط ومن التشدد إلى التسيب ، وهذا مشاهَد ومعروف .

ولذا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » (١) ، والمنبتُّ هو الذى أجهد دابته فى السفر فانبتَّ عن رفقته ، أى انقطع عنهم ، لا وصل مأربه وغايته ولا أبقى دابته على قيد الحياة .

ومن هنا كان التوجيه النبوى العظيم بقوله صلى اللَّه عليه وسلم : « يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن اللَّه لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى اللَّه ما دووم عليه وإن قَلَّ » (٢) .

وعن ابن عباس قال : كانت مولاة للنبى صلى اللَّه عليه وسلم تصوم النهار وتقوم الليل ، فقيل له : « إنها تصوم النهار وتقوم الليل ،

---

(١) جزء من حديث رواه البيهقى فى الكبرى [٣/١٨/٤٥٢٠] عن جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه تعالى عنه ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه البزار فيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب .

(٢) رواه البخارى [٥٥٢٣] ومسلم [٧٨٢/٢١٥] واللفظ له .

فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « إن لكل عمل شِرَّة « أى حدة ونشاطا » ولكل شِرَّه فترة « أى استرخاءاً وفتوراً » ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل » (١) .

وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « إن الدين يُسْر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ،فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » (٢) .

وقال العلامة المناوى فى شرحه : يعنى لا يتعمق أحد فى العبادة ويترك الرفق إلا عجز فيغلب .. « فسددوا » أى الزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط ، « وقاربوا » أى إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فأعملوا بما يقرب منه .. « وأبشروا » أى بالثواب على العمل الدائم وإن قل » أهـ .

٣ – **الغلو لا يخلو من جور** على حقوق أخرى يجب أن تراعى وواجبات يجب أن تؤدى ، وما أصدق ما قاله الحكماء : ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مضيع .

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٣٥٦٠] وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه البخارى [٣٩] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لعبد اللَّه بن عمر حين بلغه انهماكه فى العبادة انهماكاً أنساه حق أهله عليه ، قال : يا عبد اللَّه ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل » ؟ فقال : قلت : بلى يا رسول اللَّه ، فقال صلى اللَّه عليه وسلم : فلا تفعل ،صم وأفطر وقم ونم ؛ فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً » [1] ، والزور أى الزوار [2] . يعنى : فأعط كل ذى حق حقه ولا تحل وتغل فى ناحية على حساب الأخرى .

وكذلك قال الصحابى الجليل سلمان الفارسى لأخيه العابد الزاهد أبى الدرداء ، وقد كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قد

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى [١٨٧٤] ومسلم [١٨١/١١٥٩] عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضى اللَّه تعالى عنهما .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : قوله « وإن لزورك » بفتح الزاي وسكون الواو لضيفك والزور مصدر وضع موضع الاسم كصوم في موضع صائم ونوم في موضع نائم ، ويقال للواحد والجمع والذكر والأنثى زور ، قال ابن التين : ويحتمل أن يكون زور جمع زائر كركب جمع راكب وتجر جمع تاجر .

آخى بينهما فزادت بينهما الألفة وسقطت الكلفة ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما ، فقال : كل ، قال : فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ؛ قال : فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم فنام ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق سلمان » [1] .

---

(١) رواه البخارى [١٨٦٧] عن جحيفة رضى اللّه تعالى عنه . وفى معناها روى أبو داود [١٣٦٩] عن عائشة رضى اللّه تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال : يا عثمان أرغبت عن سنتي قال : لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب . قال : فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا فصم وأفطر وصل ونم . وصححه الألبانى .